الدِّيَانَةُ

وَأَثَرُهَا السَّيِّئُ فِي انْحِطَاطِ الْمُسْلِمِينَ

تَأْلِيفُ

أَحْمَدَ بْنِ طَلِيلٍ أَبُو الْفِيتَةَ

أَبُو حَمْزَةَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ رِسَالَتِي الْمُسَمَّاة: (الدِّيَاثَةُ وَأَثَرُهَا السَّيِّئُ فِي انْحِطَاطِ الْمُسْلِمِينَ).

كَتَبْتُهَا: رَاجِيًا الثَّوَابَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ ثُمَّ لِتَبْصِيرِ إِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

نَعَمْ؛ كَتَبْتُهَا: إِيقَاظًا لِلْغَافِلِ، وَتَنْبِيهًا لِلْجَاهِلِ.

فَبَعْضُ النَّاسِ – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ – قَدْ يَكُونُ (دَيُّوثًا) وَهُوَ لَا يَعْلَمُ!! كَيْفَ؟!

الْجَوَابُ: لِأَنَّهُ – مَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ – وُلِدَ وَتَرَبَّى فِي بِيئَةٍ لَا تُعَظِّمُ دِينَ اللهِ – رَبِّ الْعَالَمِينَ – حَقَّ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ!.

بِيئَةٍ: صَارَتْ تَحْكُمُهَا الْعَادَاتُ وَالتَّقَالِيدُ الْأُورُوبِّيَّةُ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهَا!!.

بِيئَةٍ: أَصْبَحَ فِيهَا اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالتَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ؛ أَمْرًا مَأْلُوفًا عَادِيًّا(!!).

فَجَاءَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ لِتَبْصِيرِ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلِينَ؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

فَذَكَرْتُ فِيهَا: الدِّيَاثَة؛ مَعْنَاهَا، سَبَبهَا، عُقُوبَتهَا عِنْدَ اللهِ، الْآثَار السَّيِّئَة الْمُتَرَتِّبَة عَلَيْهَا، وَبَعْض الصُّوَرِ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يُعْرَفُ الدَّيُّوثُ!.

ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ – لِيَزْدَادَ الْأَمْرُ وُضُوحًا – ذِكْرُ فَصْلٍ فِي الْغَيْرَةِ؛ مِنْ بَابِ: (وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ).

ثُمَّ أَتْبَعْتُ ذَلِكَ بِمَوْضُوعٍ لَهُ صِلَةٌ بِمَا نَحْنُ فِيهِ؛ وَهُوَ: (التَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ) لِلْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً –.

ثُمَّ ذَكَرْتُ أَسْبَابًا أُخْرَى لِفِتْنَةِ النِّسَاءِ؛ وَذَكَرْتُ – أَيْضًا – طُرُقَ عِلَاجِهَا: مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَصَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَأَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ خَتَمْتُ الرِّسَالَةَ بِذِكْرِ السَّبَبِ الرَّئِيسِيِّ لِلْبَلَاءِ الَّذِي حَلَّ بِالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَهُوَ: عَدَمُ التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ حَقٍّ وَصَوَابٍ؛ فَمِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ أَوْ نِسْيَانٍ؛ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَكَتَبَ

أَحْمَدُ بْنُ طَلِبٍ أَبُو الْفَتْحِ

أَبُو حَمْزَةَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَى مَنْ شَاءَ بِالْحِمَايَةِ وَالصِّيَانَةِ، وَقَضَى عَلَى مَنْ شَاءَ بِالسُّقُوطِ وَالْخِذْلَانِ!.

أَحْمَدُهُ أَنْ جَعَلَ الْغَيْرَةَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَقَامُوا عَلَى نِسَائِهِمْ أَحْسَنَ الْقِيَامِ، وَجَنَّبُوهُنَّ أَسْبَابَ الِافْتِتَانِ.[1]

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ، الَّذِي يَنْتَقِمُ مِمَّنْ بَارَزَهُ بِالْعِصْيَانِ، فَوَيْلٌ لِلْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ، مِنْ عِقَابِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ! وَوَيْلٌ لِأَوْلِيَائِهِنَّ الرَّاضِينَ لَهُنَّ بِالْهَوَانِ!!.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي بَيَّنَ لِلنَّاسِ غَايَةَ الْبَيَانِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ".[2]

"أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقُوا اللهَ – تَعَالَى –، وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ هَذِهِ النَّارَ بِفِعْلِ الْوِقَايَةِ مِنْهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِامْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْقِيَامِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْنَا، وَحَمَّلَنَا مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْحِمَايَةِ؛ خُصُوصًا فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّ النِّسَاءَ يَحْتَجْنَ إِلَى زِيَادَةِ الرِّعَايَةِ؛ لِأَنَّهُنَّ نَاقِصَاتٌ فِي الْعَقْلِ وَنَاقِصَاتٌ فِي الدِّينِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى؛ وَكَمَا يَشْهَدُ بِهِ الْوَاقِعُ الْمَحْسُوسُ!.

فَالْمَرْأَةُ: قَاصِرَةُ النَّظَرِ وَالتَّفْكِيرِ! نَظَرُهَا لَا يَتَجَاوَزُ قَدَمَيْهَا!! وَتَفْكِيرُهَا مُضْطَرِبٌ لَا يَقِرُّ عَلَى شَيْءٍ، كُلُّ شَيْءٍ يُغَيِّرُهُ! عَاطِفَتُهَا مُتَدَاعِيَةٌ، كُلُّ شَيْءٍ يَجْذِبُهَا، وَيَمِيلُ بِهَا!!.

وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الرِّجَالَ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: ٣٤]

[1] قَالَ بَعْضُهُمْ: كُلُّ أُمَّةٍ وُضِعَتِ الْغَيْرَةُ فِي رِجَالِهَا؛ وُضِعَتِ الْعِفَّةُ وَالصِّيَانَةُ فِي نِسَائِهَا!.

[2] الصَّارِمُ الْمَشْهُور عَلَى أَهْلِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ؛ لِلْعَلَّامَةِ حمود بْنِ عَبْدِ اللهِ التويجري، بِوَاسِطَةِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ(١٥/٢٨٢-٢٨٣).

فَقُومُوا - أَيُّهَا الرِّجَالُ - بِمَا جَعَلَكُمُ اللهُ قَوَّامِينَ بِهِ، وَلَا تَبْخَسُوا أَنْفُسَكُمْ حَقَّهَا! لَا تَغْلِبَنَّكُمُ النِّسَاءُ عَلَى رُجُولَتِكُمْ! وَلَا يُلْهِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ رِعَايَةِ أَهْلِيكُمْ! وَلَا تَنْشَغِلُوا بِأَمْوَالِكُمْ عَنْ أَوْلَادِكُمْ! وَلَا بِمَكَاسِبِكُمْ عَنْ أَخْلَاقِكُمْ وَشَرَفِكُمْ!!".[٣]

وَاعْلَمُوا - رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ كُلِّ دَاءٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ بَلَاءٍ؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ "تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ الَّتِي هِيَ لِحَيَاتِهِ وَصَلَاحِهِ كَالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ لِحَيَاةِ جَمِيعِ الْبَدَنِ...

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّتْ مُلَابَسَةُ الْعَبْدِ لِلذُّنُوبِ؛ أَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْغَيْرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ! وَقَدْ تَضْعُفُ فِي الْقَلْبِ جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ؛ لَا مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ! وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؛ فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْهَلَاكِ!!.

وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ(!) لَا يَقْتَصِرُ عَلَى عَدَمِ الِاسْتِقْبَاحِ؛ بَلْ يُحَسِّنُ الْفَوَاحِشَ وَالظُّلْمَ لِغَيْرِهِ، وَيُزَيِّنُهُ لَهُ، وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْعَى لَهُ فِي تَحْصِيلِهِ! وَلِهَذَا كَانَ الدَّيُّوثُ أَخْبَثَ خَلْقِ اللهِ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ!!".[٤]

فَ"الدَّيُّوثُ مِنْ أَعْظَمِ الْعُصَاةِ؛ مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْهُجْنَةِ[٥] الْمُنَافِيَةِ لِلدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ".[٦]

جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ(٤/٤٥٦)، مَادَّة(دَيَثَ): وَالدَّيُّوثُ: الْقَوَّادُ عَلَى أَهْلِهِ. وَالَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ: دَيُّوثٌ اهـ.

وَجَاءَ فِي الْمِصْبَاحِ الْمُنِيرِ، صـ١٢٤، مَادَّة(د ي ث): الدَّيُّوثُ: هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ، وَالدِّيَاثَةُ - بِالْكَسْرِ -: فِعْلُهُ اهـ.

وَجَاءَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ(٢/٢٣٦): وَالدَّيُّوثُ: مِنَ التَّدْيِيثِ، وَهُوَ التَّذْلِيلُ. كَأَنَّ الَّذِي لَا يَغَارُ، قَدْ جَمَعَ إِلَى الْقُبْحِ الذُّلَّ! اهـ.

---

[٣] الضِّيَاءُ اللَّامِعُ مِنَ الْخُطَبِ الْجَوَامِعِ، لِلْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ، الْقِسْمُ الثَّانِي صـ٤٠٧-٤٠٨.

[٤] الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ، لِلْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ ابْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ، صـ١٠٦-١٠٩، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

[٥] الْهُجْنَةُ - بِالضَّمِّ - مِنَ الْكَلَامِ: مَا يَعِيبُهُ، تَقُولُ: لَا تَفْعَلْ كَذَا فَيَكُونَ عَلَيْكَ هُجْنَةً [تاج العروس].

[٦] الرَّوْضَةُ النَّدِيَّةُ(٢/٤٦٥).

فـ"الدَّيُّوثُ هُوَ الَّذِي انْعَدَمَتْ شَهَامَتُهُ وَغَيْرَتُهُ عَلَى عِرْضِهِ، فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي بِمَنْ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَنْ يَخْرُجُ! وَلَا يُهِمُّهُ سُلُوكُ نِسَائِهِ وَبَنَاتِهِ! بَلْ يَسْكُتُ عَلَى الْمَهَانَةِ، وَيَرْضَى بِالدُّونِ! وَيُقِرُّ الْخَطِيئَةَ فِي أَهْلِهِ؛ فَهَذَا مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!!".[7]

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ؛ كَانَتْ عُقُوبَةُ الدَّيُّوثِ عَظِيمَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ[8]، وَالدَّيُّوثُ ...».[9]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ – تَبارَكَ وَتَعَالَى – عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ؛ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ[10]».[11]

وَلِلدِّيَاثَةِ صُوَرٌ يُعْرَفُ مِنْ خِلَالِهَا الدَّيُّوثُ:

مِنْهَا: سَمَاحُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ أَوِ ابْنَتِهِ – أَوْ مَنْ هُمْ تَحْتَ وِلَايَتِهِ – بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ! فَلَا يَسْأَلُ: لِمَاذَا خَرَجَتْ؟! وَلَا يَسْتَفْسِرُ: لِمَاذَا تَأَخَّرَتْ؟!!.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ! وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ رَبِّهَا؛ إِذَا هِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا».[12]

---

[7] الْفِقْهُ عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ(٥/١٢٧-١٢٨).

[8] (**الْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ**): الَّتِي تَتَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ فِي زِيِّهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ!.

[9] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُمَا؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٣٠٧١)، وَالصَّحِيحَةِ(١٣٩٧)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٢٥١١)، وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِر فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ(٦١٨٠): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

[10] (**الْخَبَثُ**) أَيِ: الزِّنَا، أَوْ مُقَدِّمَاتِهِ، وَفِي مَعْنَاهُ سَائِرُ الْمَعَاصِي؛ كَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَتَرْكِ غُسْلِ الْجَنَابَةِ، وَنَحْوِهِمَا ، قَالَ الطِّيبِيُّ: أَيِ الَّذِي يَرَى فِيهِنَّ مَا يَسُوءُهُ وَلَا يَغَارُ عَلَيْهِنَّ وَلَا يَمْنَعُهُنَّ فَيُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ لعلي القاري].

[11] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٣٠٥٢)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٢٣٦٦).

[12] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمْ؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٦٦٩٠)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٣٤٦)، وَالتَّعْلِيقَاتِ الْحِسَانِ(٥٥٧٠)، وَالْمِشْكَاةِ(٣١٠٩).

وَعَنْهُ أَيْضًا – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا وَمَا بِهَا مِنْ بَأْسٍ؛ فَيَسْتَشْرِفُهَا الشَّيْطَانُ[13]، فَيَقُولُ: إِنَّكِ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِهِ!! وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَلْبَسُ ثِيَابَهَا؛ فَيُقَالُ: أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ فَتَقُولُ: أَعُودُ مَرِيضًا! أَوْ أَشْهَدُ جِنَازَةً! أَوْ أُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ! وَمَا عَبَدَتِ امْرَأَةٌ رَبَّهَا؛ مِثْلَ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا».[14]

وَمِنْهَا: السَّمَاحُ لَهُنَّ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ بِمَلَابِسٍ قَصِيرَةٍ، أَوْ ضَيِّقَةٍ، أَوْ رَقِيقَةٍ!!.[15]

وَمِنْهَا: السَّمَاحُ لَهُنَّ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ مُتَزَيِّنَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ مُتَعَطِّرَاتٍ!!!.

---

[13] **قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ**: قَوْلُهُ (**فَيَسْتَشْرِفُهَا الشَّيْطَانُ**) أَيْ: يَنْتَصِبُ وَيَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَيْهَا وَيَهُمّ بِهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَعَاطَتْ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ تَسَلُّطِهِ عَلَيْهَا؛ وَهُوَ خُرُوجُهَا مِنْ بَيْتِهَا اهـ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ(٢/٤١٤)، مَادَّة(شَرَفَ): وَأَصْلُ الِاسْتِشْرَافِ: أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَتَنْظُرَ، كَالَّذِي يَسْتَظِلُّ مِنَ الشَّمْسِ حَتَّى يَسْتَبِينَ الشَّيْءَ اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(١/٢٦١) تَعْلِيقًا عَلَى الْحَدِيثِ: هَذَا فِي شَيْطَانِ الْجِنِّ، فَمَا بَالُكَ فِي شَيْطَانِ الْإِنْسِ؟ لَا سِيَّمَا شَيَاطِين إِنْس هَذَا الْعَصْر الَّذِي نَحْنُ فِيهِ(!) فَإِنَّهُ أَضَرُّ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ أَلْفِ شَيْطَانٍ؛ لِأَنَّ أَغْلَبَ شُبَّانِ هَذَا الزَّمَانِ(!)لَا مُرُوءَةَ عِنْدَهُمْ، وَلَا دِينَ وَلَا شَرَفَ وَلَا إِنْسَانِيَّةَ!! يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ بِشَكْلٍ مُفْجِعٍ! وَهَيْئَةٍ تَدُلُّ عَلَى خَسَاسَةٍ وَدَنَاءَةٍ وَانْحِطَاطٍ!! اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الطُّرُقِ الْحُكْمِيَّةِ: وَلَهُ[يعني: وَلِيَّ الْأَمْرِ] أَنْ يَحْبِسَ الْمَرْأَةَ إِذَا أَكْثَرَتِ الْخُرُوجَ مِنْ مَنْزِلِهَا؛ وَلَا سِيَّمَا إِذَا خَرَجَتْ مُتَجَمِّلَةً!! بَلْ إِقْرَارُ النِّسَاءِ عَلَى ذَلِكَ؛ إِعَانَةٌ لَهُنَّ عَلَى الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَاللهُ سَائِلٌ وَلِيَّ الْأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ! اهـ.

[14] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ، وَغَيْرُهُمَا؛ وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٣٤٨).

[15] **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الطُّرُقِ الْحُكْمِيَّةِ**: وَيَجِبُ عَلَيْهِ[يعني: وَلِيَّ الْأَمْرِ]مَنْعُ النِّسَاءِ مِنَ الْخُرُوجِ مُتَزَيِّنَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ، وَمَنْعُهُنَّ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي يَكُنَّ بِهَا كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ – كَالثِّيَابِ الْوَاسِعَةِ وَالرِّقَاقِ –، وَمَنْعُهُنَّ مِنْ حَدِيثِ الرِّجَالِ فِي الطُّرُقَاتِ، وَمَنْعُ الرِّجَالِ مِنْ ذَلِكَ. وَإِنْ رَأَى وَلِيُّ الْأَمْرِ أَنْ يُفْسِدَ عَلَى الْمَرْأَةِ – إِذَا تَجَمَّلَتْ وَتَزَيَّنَتْ وَخَرَجَتْ – ثِيَابَهَا بِحِبْرٍ وَنَحْوِهِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ وَأَصَابَ! وَهَذَا مِنْ أَدْنَى عُقُوبَتِهِنَّ الْمَالِيَّةِ!! اهـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ فِي جِلْبَابِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، صـ١٣٦: فَانْظُرْ إِلَى فَاطِمَةَ بَضْعَةِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَيْفَ اسْتَقْبَحَتْ أَنْ يَصِفَ الثَّوْبُ الْمَرْأَةَ وَهِيَ مَيِّتَةٌ! فَلَا شَكَّ أَنَّ وَصْفَهُ إِيَّاهَا وَهِيَ حَيَّةٌ أَقْبَحُ وَأَقْبَحُ!! فَلْيَتَأَمَّلْ فِي هَذَا مُسْلِمَات هَذَا الْعَصْر اللَّاتِي يَلْبَسْنَ مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ الضَّيِّقَةِ الَّتِي تَصِفُ نُهُودَهُنَّ وَخُصُورَهنَّ وَأَلْيَاتَهنَّ وَسُوقهنَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَائِهِنَّ! ثُمَّ لِيَسْتَغْفِرْنَ اللهَ – تَعَالَى – وَلْيَتُبْنَ إِلَيْهِ، وَلْيَذْكُرْنَ قَوْلَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا؛ رُفِعَ الْآخَرُ!**» اهـ.

وَمِنْهَا: سَمَاحُ الزَّوْجِ بِدُخُولِ أَخِيهِ أَوْ عَمِّهِ أَوْ خَالِهِ – أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ – عَلَى زَوْجَتِهِ فِي غِيَابِهِ؛ وَكَأَنَّهُمْ إِخْوَانُهَا!!!.[16]

وَمِنْهَا: سَمَاحُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ أَوِ ابْنَتِهِ – أَوْ مَنْ هُمْ تَحْتَ وِلَايَتِهِ – بِالسَّفَرِ لِلتِّجَارَةِ! أَوِ التَّنَزُّهِ! أَوِ لِلتَّعَلُّمِ أَوْ لِلتَّعْلِيمِ(!) – أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ – بِدُونِ مَحْرَمٍ!.

---

[16] **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِين فِي شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ(٤/٢٣١)**: النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!**» يَعْنِي: إِيَّاكُمْ! أُحَذِّرُ أَنْ تَدْخُلُوا عَلَى النِّسَاءِ؛ وَهَذَا تَحْذِيرٌ بَالِغٌ! قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْحَمْوُ: الْمَوْتُ**». الْحَمْوُ: يَعْنِي أَقَارِبَ الزَّوْجِ؛ مِنْ أَخِيهِ، عَمِّهِ، خَالِهِ، هَذَا هُوَ الْحَمْوُ، أَمَّا أَبُو الزَّوْجِ وَابْنُ الزَّوْجِ؛ فَهُمْ مِنَ الْمَحَارِمِ، لَكِنْ حَوَاشِيهِ – كَأَخِيهِ وَعَمِّهِ وَخَالِهِ – فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنَ الْمَحَارِمِ.

قَالَ: «**الْحَمْوُ: الْمَوْتُ**» وَهَذِهِ كَلِمَةٌ مِنْ أَبْلَغِ مَا يَكُونُ مِنَ التَّحْذِيرِ، يَعْنِي: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَفِرَّ مِنْ دُخُولِ أَقَارِبِهِ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَهْلِهِ بِلَا مَحْرَمٍ! وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْذِيرِ الشَّدِيدِ!!.

وَدُخُولُ أَقَارِبِ الزَّوْجِ عَلَى بَيْتِ الزَّوْجِ أَخْطَرُ مِنْ دُخُولِ الْأَجَانِبِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ بِاعْتِبَارِهِمْ أَقَارِبَ فَلَا يَسْتَنْكِرُهُمْ أَحَدٌ! وَإِذَا وَقَفُوا عِنْدَ الْبَابِ يَسْتَأْذِنُونَ؛ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ! لِذَلِكَ كَانَ حَرَامًا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَكِّنَ أَخَاهُ مِنَ الْخَلْوَةِ بِزَوْجَتِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَهَاوَنُ فِي هَذَا الْأَمْرِ!! تَجِدُ عِنْدَهُ زَوْجَةً وَلَهُ أَخٌ بَالِغٌ! فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ إِلَى الْعَمَلِ وَيَتْرُكُ زَوْجَتَهُ وَأَخَاهُ فِي الْبَيْتِ وَحْدَهُمَا(!) وَهَذَا حَرَامٌ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ!! اهـ.

وَقَالَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –: وَدَائِمًا يَقَعُ السُّؤَالُ عَنْ جَرِيمَةِ فَاحِشَةِ الزِّنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ: يَخْرُجُ الرَّجُلُ وَتَبْقَى زَوْجَتُهُ وَأَخُوهُ فِي الْبَيْتِ؛ فَيُغْوِيهِمَا الشَّيْطَانُ! وَيَزْنِي بِهَا – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ –!! يَزْنِي بِحَلِيلَةِ أَخِيهِ(!!) وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا بِحَلِيلَةِ جَارِهِ؛ بَلْ إِنَ الْأَمْرَ أَفْظَعُ مِنْ هَذَا!!.

عَلَى كُلِّ حَالٍ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً أَبْرَأُ بِهَا عِنْدَ اللهِ مِنْ مَسْئُولِيَّتِكُمْ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُبْقِيَ زَوْجَتَهُ عِنْدَ أَخِيهِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ! حَتَّى لَوْ كَانَ الْأَخُ مِنْ أَوْثَقِ النَّاسِ وَأَصْدَقِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النَّاسِ!! فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَالشَّهْوَةُ الْجِنْسِيَّةُ لَا حُدُودَ لَهَا؛ لَا سِيَّمَا مَعَ الشَّبَابِ! [مَجْمُوعَةُ أَسْئِلَة تَهُمّ الْأُسْرَة الْمُسْلِمَة].

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (**الْحَمْوُ: الْمَوْتُ**)؛ فَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَوْفَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ! وَالشَّرُّ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ؛ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَالْخَلْوَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ! بِخِلَافِ الْأَجْنَبِيِّ.

وَالْمُرَادُ بِ(الْحَمْوِ) هُنَا: أَقَارِبُ الزَّوْجِ غَيْرُ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ، فَأَمَّا الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ؛ فَمَحَارِمُ لِزَوْجَتِهِ، تَجُوزُ لَهُمُ الْخَلْوَةُ بِهَا وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: الْأَخُ وَابْنُ الْأَخِ، وَالْعَمُّ وَابْنُهُ، وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، **وَعَادَةُ النَّاسِ الْمُسَاهَلَةُ فِيهِ وَيَخْلُو بِامْرَأَةِ أَخِيهِ! فَهَذَا هُوَ الْمَوْتُ وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ** – لِمَا ذَكَرْنَاهُ –، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ صَوَابُ مَعْنَى الْحَدِيثِ اهـ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ تُسَافِرَ سَفَرًا يَكُونُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِدًا؛ إِلَّا وَمَعَهَا أَبُوهَا، أَوِ ابْنُهَا، أَوْ زَوْجُهَا، أَوْ أَخُوهَا، أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا[17]».[18]

وَمِنْهَا: السَّمَاحُ لَهُنَّ بِشِرَاءِ مَلَابِسِهِنَّ (الدَّاخِلِيَّةِ!) مِنَ الْبَاعَةِ الرِّجَالِ!! وَلَا تَخْلُو هَذِهِ الْمُعَامَلَةُ – كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ! – مِنْ قَوْلِ الْمَرْأَةِ لِلْبَائِعِ: هَذَا ضَيِّقٌ! هَذَا وَاسِعٌ! هَذَا أَجْمَلُ! هَذَا لَوْنُهُ غَيْرُ جَمِيلٍ! فَيَقُولُ لَهَا الْبَائِعُ: خُذِي هَذَا اللَّوْنَ فَإِنَّهُ جَمِيلٌ!!!.

وَمِنْهَا: السَّمَاحُ لَهُنَّ بِالذَّهَابِ إِلَى حَفَلَاتِ الزِّفَافِ الْمُخْتَلَطَةِ!!.[19]

وَمِنْهَا: تَمْكِينُهُنَّ مِنِ (اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ[20])؛ فِي الْبَيْتِ، أَوِ الْعَمَلِ، أَوْ غَيْرِهِمَا.

---

[17] **قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي (شَرْحِ مُسْلِمٍ)**: فَالْحَاصِلُ أَنَّ كُلَّ مَا يُسَمَّى سَفَرًا تُنْهَى عَنْهُ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ زَوْجٍ أَوْ مَحْرَمٍ: سَوَاءٌ كَانَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ يَوْمَيْنِ، أَوْ يَوْمًا، أَوْ بَرِيدًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ لِرِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمُطْلَقَة، وَهِيَ آخِرُ رِوَايَاتِ مُسْلِمٍ السَّابِقَةِ: (**لَا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**)، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ مَا يُسَمَّى سَفَرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ اهـ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِينَ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى(٢٥٨/٢٤): وَالْحِكْمَةُ فِي مَنْعِ الْمَرْأَةِ مِنَ السَّفَرِ بِدُونِ مَحْرَمٍ: صَوْنُ الْمَرْأَةِ عَنِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَحِمَايَتُهَا مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْفِسْقِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ قَاصِرَةٌ فِي عَقْلِهَا وَتَفْكِيرِهَا وَالدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا، وَهِيَ مَطْمَعُ الرِّجَالِ، فَرُبَّمَا تُخْدَعُ أَوْ تُقْهَرُ! فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تُمْنَعَ مِنَ السَّفَرِ بِدُونِ مَحْرَمٍ يُحَافِظُ عَلَيْهَا وَيَصُونُهَا؛ وَلِذَلِكَ يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْرَمُ بَالِغًا عَاقِلًا، فَلَا يَكْفِي الْمَحْرَمُ الصَّغِيرُ أَوِ الْمَعْتُوهُ اهـ.

[18] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[19] **قَالَ الْعَلَّامَةُ حَمَدُ بْنُ عَتِيقٍ، كَمَا فِي الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ(٢٣٧/١٤)**: وَمِنَ الْمُنْكَرَاتِ: ظُهُورُ أَصْوَاتِ النِّسَاءِ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ؛ اجْتِمَاعُ الْمُتَّهَمِينَ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْعُرْسِ عَلَى الدُّفُوفِ، وَمَنْ رَضِيَ بِذَلِكَ لِنِسَائِهِ، أَوْ فِي بَيْتِهِ؛ فَهَذَا نَوْعُ دِيَاثَةٍ مِنْهُ، فَمَا أَقْرَبَ شَبَهَهُ بِالدَّيُّوثِ!! اهـ.

[20] **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (الطُّرُقِ الْحُكْمِيَّةِ) صـ٢٤١**: وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ: أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ! وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ؛ كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ!!.

وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ!...فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ: كَثْرَةُ الزِّنَا؛ بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ، وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ! وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ – قَبْلَ الدِّينِ –؛ لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعًا لِذَلِكَ!! اهـ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي الِاسْتِقَامَةِ صـ٢٠٣: فَالرِّجَالُ إِذَا اخْتَلَطُوا بِالنِّسَاءِ؛ كَانَ بِمَنْزِلَةِ اخْتِلَاطِ النَّارِ وَالْحَطَبِ!!

وَهُنَاكَ زِيَارَاتٌ تُسَمَّى بِـ(الزِّيَارَاتِ الْعَائِلِيَّةِ): يَأْتِي الرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ لِزِيَارَةِ (صَدِيقِهِ)، فَيَجْلِسُونَ جَمِيعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؛ فَيَتَحَدَّثُونَ! وَيَتَمَازَحُونَ!! وَيَضْحَكُونَ!!! وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!!.

وَمِنْهَا: تَمْكِينُهُنَّ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَفْلَامِ وَالْمُسَلْسَلَاتِ وَالْأَغَانِي[٢١] – الْفِيدْيُو كليب! –، وَالَّتِي لَا تَخْلُو – فِي الْغَالِبِ – مِنَ الْقُبُلَاتِ!! وَقِصَصِ الْحُبِّ وَالْهَيَامِ! وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ! وَ.....!

فَأَقُولُ لِهَذَا الرَّجُلِ(!): أَيْنَ غَيْرَتُكَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ يَنْظُرُونَ إِلَى رَجُلٍ يُعَانِقُ امْرَأَةً! أَوْ يُقَبِّلُهَا!! أَوْ....!! فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ!.

وَمِنْهَا: سَمَاحُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ أَوِ ابْنَتِهِ – أَوْ مَنْ هُمْ تَحْتَ وِلَايَتِهِ – بِالْعَمَلِ كَـ(جُنْدِيَّةٍ=امْرَأَة شُرَطِيَّة!)!![٢٢]

---

[٢١] **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ(١/٤٤٢–٤٤٣)**: وَلَا رَيْبَ أَنَّ كُلَّ غَيُورٍ يُجَنِّبُ أَهْلَهُ سَمَاعَ الْغِنَاءِ، كَمَا يُجَنِّبُهُنَّ أَسْبَابَ الرِّيَبِ، وَمَنْ طَرَّقَ أَهْلَهُ إِلَى سَمَاعِ رُقْيَةِ الزِّنَى؛ فَهُوَ أَعْلَمُ بِالِاسْمِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ!!.

وَمِنَ الْأَمْرِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ الْقَوْمِ: أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا اسْتَصْعَبَتْ عَلَى الرَّجُلِ؛ اجْتَهَدَ أَنْ يُسْمِعَهَا صَوْتَ الْغِنَاءِ، فَحِينَئِذٍ تُعْطِي اللِّيان!.

وَهَذَا؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ سَرِيعَةُ الِانْفِعَالِ لِلْأَصْوَاتِ جِدًّا، فَإِذَا كَانَ الصَّوْتُ بِالْغِنَاءِ؛ صَارَ انْفِعَالُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ: مِنْ جِهَةِ الصَّوْتِ، وَمِنْ جِهَةِ مَعْنَاهُ اهـ.

[٢٢] **قَالَ الشَّيْخُ يَحْيَى الْحَجُورِيّ فِي حَشْدِ الْأَدِلَّةِ**: وَمَعْلُومٌ أَنْ تَجْنِيدَ الْمَرْأَةِ يَحْصُلُ مِنْ وَرَاءِهِ الْخَلْوَةُ بِالْجُنْدِيَّةِ! فَهِيَ عَسْكَرِيَّةٌ يَجِبُ عَلَيْهَا طَاعَةُ الْقَائِدِ وَمَسْئُولِ الْكَتِيبَةِ، وَلَوْ خَالَفَتْ فِي بَعْضِ الْمُخَالَفَاتِ – كَمَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهَا الضَّعْفُ وَالْعِوَجُ! –؛ لَرُبَّمَا أَمَرَهَا بِالِانْبِطَاحِ وَالْحَبْوِ عَلَى يَدَيْهَا! وَجَرَّدَهَا مِنْ ثِيَابِهَا(!) فَتَغْتَسِلُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ فِي اللَّيَالِي الْبَارِدَةِ! وَكُلُّ الْجُنُودِ يَعْرِفُونَ تِلْكَ الْأَوَامِرَ الْجَزَائِيَّةَ!! فَمَا هِيَ النَّتِيجَةُ يَا أَيُّهَا الْوَلِيُّ لِتِلْكَ الْمِسْكِينَةِ! يَا أَيُّهَا الْوَلِيُّ (الدَّيُّوثُ!)، مَا هُوَ الْمُتَوَقَّعُ لِابْنَتِكَ أَوْ لِأُخْتِكَ مِنْ تِلْكَ الطَّاعَةِ الْمُطْلَقَةِ!!.

... مَاذَا تَتَوَقَّعُ يَا أَيُّهَا (الدَّيُّوثُ!) مِنْ خُرُوجِ ابْنَتِكَ لِأَدَاءِ وَاجِبِهَا عَلَى النَّجْدَةِ أَوْ غَيْرِهَا مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي طَالَمَا تَابَعَ أَمْثَالَهَا فِي الشَّوَارِعِ فَضْلًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ صَيْدَهُ إِلَى الْقَفَصِ! فَإِنَّ هَذِهِ تُعْتَبَرُ عِنْدَهُ الْغَنِيمَةَ الْبَارِدَةَ!!...

كَيْفَ بِذَلِكَ الْجُنْدِيِّ مَعَ امْرَأَتِكَ أَوِ ابْنَتِكَ وَرُبَّمَا يَكُونُ عَازِبًا أَوْ مُغْتَرِبًا مِنْ أَهْلِهِ عِدَّةَ شُهُورٍ، كَيْفَ تَتَوَقَّعُ ذَلِكَ الْجُنْدِيَّ مَعَ ابْنَتِكَ؛ وَالنَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ –، يَقُولُ – كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ –: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**» اهـ.

وَمِنْهَا: سَمَاحُ الرَّجُلِ لِزَوْجَتِهِ أَوِ ابْنَتِهِ – أَوْ مَنْ هُمْ تَحْتَ وِلَايَتِهِ – بِالذَّهَابِ إِلَى (طَبِيبِ النِّسَاءِ وَالْوِلَادَةِ!)[23] لِلْوِلَادَةِ أَوْ لِغَيْرِهَا، مَعَ وُجُودِ طَبِيبَاتٍ – مَاهِرَاتٍ – فِي الْمَجَالِ نَفْسِهِ!!. أَيْنَ الْغَيْرَةُ؟! أَيْنَ الشَّهَامَةُ؟! أَيْنَ الرُّجُولَةُ؟!! أَتَحْسَبُ أَنَّ هَذَا الطَّبِيبَ (نَبِيٌّ!)؟! أَتَحْسَبُ أَنَّهُ لَا يَرَى مِنْ زَوْجَتِكَ شَيْئًا؟!! أَيْنَ الْحَيَاءُ؟![24] تَخْلَعُ زَوْجَتُكَ بَعْضَ مَلَابِسِهَا (لِرَجُلٍ)!! مَعْذِرَةً! أَقْصِدُ: (طَبِيبًا!)! وَلَيْسَ طَبِيبًا فَحَسْبُ؛ بَلْ هُوَ طَبِيبٌ مَاهِرٌ!! مَرْحَى مَرْحَى!!.

---

[23] **جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ(٢٤/٤٢٨)**: لَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَتَعَالَجَ عِنْدَ طَبِيبٍ (ذَكَرٍ)، وَلَا لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَعَالَجَ عِنْدَ طَبِيبَةٍ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَى؛ حَيْثُ لَا يُوجَدُ طَبِيبَةٌ لِلنِّسَاءِ وَلَا طَبِيبٌ لِلرِّجَالِ اهـ.

وَجَاءَ فِي جَوَابِ السُّؤَالِ الثَّانِي مِنَ الْفَتْوَى رَقَم(٣٢٢٩): الْأَصْلُ أَنَّ كَشْفَ الْمَرْأَةِ عَوْرَتَهَا: حَرَامٌ، وَأَنَّ النَّظَرَ إِلَى عَوْرَتِهَا : حَرَامٌ، فَإِنْ وَجَدَتْ مَنْ تَتَطَبَّبُ عِنْدَهَا مِنَ النِّسَاءِ؛ لَمْ يَجُزْ لَهَا أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا عَلَى (طَبِيبٍ!) يَكْشِفُ عَنْ مَرَضِهَا، أَوْ يُوَلِّدُهَا، أَوْ يُجْرِي لَهَا عَمَلِيَّةً، وَإِذَا لَمْ تَجِدِ الْمَرِيضَةُ طَبِيبَةً مَاهِرَةً تَكْشِفُ عَنْ مَرَضِهَا وَتَقُومُ بِعِلَاجِهَا؛ رُخِّصَ لَهَا أَنْ تَتَطَبَّبَ عِنْدَ طَبِيبٍ مُسْلِمٍ أَمِينٍ، وَلَهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ مِنْ عَوْرَتِهَا – كَمَا فِي تَوْلِيدِهِ إِيَّاهَا – لَكِنْ مِنْ دُونِ خَلْوَةٍ

وَفِي السُّؤَالِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَتْوَى رَقَم(١٧٠٠٠):

س ١: مَا حُكْمُ دُخُولِ الْمَرْأَةِ الْمُسْتَشْفَى عِنْدَ الْوِلَادَةِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْأَطِبَّاءَ فِي الْمُسْتَشْفَى مِنَ (الرِّجَالِ)؟

ج ١: لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَلَّى الْأَطِبَّاءُ الرِّجَالُ تَوْلِيدَ الْمَرْأَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ؛ بِأَنْ يَخَافَ عَلَى حَيَاةِ الْمَرْأَةِ، وَلَا يَكُون هُنَاكَ طَبِيبَات مِنَ النِّسَاءِ يَقُمْنَ بِتَوْلِيدِهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾اهـ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: فَالطَّبِيبُ لَيْسَ آلَةً! فَهُوَ بَشَرٌ فِيهِ إِحْسَاسٌ(!) وَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْتَبِهَ إِلَى هَذَا! فَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَتَكَشَّفَ عَلَى (طَبِيبٍ) مَعَ وُجُودِ الطَّبِيبَةِ. فَأَيْنَ الْحَيَاءُ مِنَ النِّسَاءِ؟! وَأَيْنَ الْغَيْرَةُ مِنَ الرِّجَالِ؟! فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا لِضَرُورَةٍ.

[24] قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ؛ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَةَ؛ وَغَيْرُهُمْ].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ: الْحَيَاءُ**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ؛ وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي الصَّحِيحَةِ(٩٤٠)، وَصَحِيحِ الْجَامِعِ(٢١٤٩)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٢٦٣٣)].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا؛ رُفِعَ الْآخَرُ!**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ : رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ؛ وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ(٩٩١)، وَصَحِيحِ الْجَامِعِ(٣٢٠٠)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٢٦٣٦)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَرَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ؛ يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي! حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ!! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**دَعْهُ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ –، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ].

فَصْلٌ فِي الْغَيْرَةِ وَمَا ذُكِرَ فِيهَا:

الْغَيْرَةُ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ التَّحْتَانِيَّةِ بَعْدَهَا رَاءٌ، قَالَ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ: هِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ تَغَيُّرِ الْقَلْبِ وَهَيَجَانِ الْغَضَبِ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِيمَا بِهِ الِاخْتِصَاصُ، وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ ذَلِكَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ.[٢٥]

بَابُ مَا جَاءَ فِي الْغَيْرَةِ مِنْ صَحِيحِ السُّنَّةِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ».[٢٦]

وَعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ!! يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا!!».[٢٧]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ[٢٨]، وَغَيْرَةُ اللهِ: أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ».[٢٩]

غَيْرَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جُلُوسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ[إِذْ]رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا[الْقَصْرُ]؟ قَالُوا: هَذَا لِعُمَرَ[بْنِ الْخَطَّابِ]، فَذَكَرْتُ

---

[٢٥] فَتْحُ الْبَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ(٩/٣٨٤) كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الْغَيْرَةِ.

[٢٦] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ –، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[٢٧] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ –، وَمُسْلِمٌ؛ وَغَيْرُهُمَا.

[٢٨] **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ، صـ١٠٨**: فَالْغَيُورُ: قَدْ وَافَقَ رَبَّهُ – سُبْحَانَهُ – فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، وَمَنْ وَافَقَ اللهَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ؛ قَادَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْهِ بِزِمَامِهِ، وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ، وَأَدْنَتْهُ مِنْهُ، وَقَرَّبَتْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَصَيَّرَتْهُ مَحْبُوبًا لَهُ اهـ.

[٢٩] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ.

غَيْرَتَكَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا!» فَبَكَى عُمَرُ – وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ –، ثُمَّ قَالَ: أَوَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ!؟.[٣٠]

"وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – شَدِيدُ الْغَيْرَةِ، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ تَخْرُجُ فَتَشْهَدُ الصَّلَاةَ فَيَكْرَهُ ذَلِكَ! فَتَقُولُ: إِنْ نَهَيْتَنِي؛ انْتَهَيْتُ! فَيَسْكُتُ امْتِثَالًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ».[٣١]

وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ يُحَجِّبَ نِسَاءَهُ، وَكَانَ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَحْتَجِبُ؛ لِنَزَاهَتِهِمْ وَنَزَاهَةِ نِسَائِهِمْ، ثُمَّ قَامَ الْإِسْلَامُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ! – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَوْ حَجَّبْتَ نِسَاءَكَ؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – آيَةَ الْحِجَابِ".[٣٢]

غَيْرَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ، وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ[٣٣] وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ[٣٤] وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ! وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ – وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ –، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ – الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى رَأْسِي – وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ –، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِخْ

---

[٣٠] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ؛ وَغَيْرُهُمَا.

[٣١] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ. عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟! قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: **«لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»** [صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهَدِ الْجُمُعَةَ غُسْلٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ؟].

[٣٢] رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ٢٥٨-٢٥٩.

[٣٣] (**النَّاضِحُ**): هُوَ الْجَمَلُ الَّذِي يُسْقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ [فَتْحُ الْبَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ(٩/٣٨٩)].

[٣٤] (**غَرْبَهُ**): هُوَ الدَّلْوُ [فَتْحُ الْبَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ(٩/٣٨٩)].

إِخْ» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ – وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ –، فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ؛ فَمَضَى! فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ؛ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ؛ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ! فَقَالَ: وَاللهِ! لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ!![35] قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ؛ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي![36]

غَيْرَةُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «نَعَمْ»، قَالَ: كَلَّا! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ كُنْتُ لَأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ!! قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ! إِنَّهُ لَغَيُورٌ، (وَفِي رِوَايَةٍ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللهِ لَأَنَا) أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي![37]».[38]

---

[35] قَوْلُهُ: (**وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ**) يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ الْحَيَاءَ الَّذِي لَحِقَهُ مِنْ تَبَذُّلِهَا بِحَمْلِ النَّوَى عَلَى رَأْسِهَا؛ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَلْحَقُهُ عَلَيْهَا لَوْ رَكِبَتْ مَعَ النَّبِيِّ! فَإِنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْسَ مِمَّنْ يُغَارُ عَلَى الْحَرِيمِ لِأَجْلِهِ، وَاللهُ – تَعَالَى – أَعْلَمُ [قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ].

[36] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ –، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى، وَابْنُ حِبَّانَ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[37] **قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ:** يُرِيدُ – وَاللهُ أَعْلَمُ –: أَنَّ الْغَيْرَةَ لَا تُبِيحُ لِلْغَيُورِ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَلْزَمُهُ مَعَ غَيْرَتِهِ؛ الِانْقِيَادُ لِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْ لَا يَتَعَدَّى حُدُودَهُ! فَاللهُ وَرَسُولُهُ أَغْيَرُ. وَلَا خِلَافَ عَلِمْتُهُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِيمَنْ قَتَلَ رَجُلًا ثُمَّ ادَّعَى أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ لِأَنَّهُ وَجَدَهُ مَعَ امْرَأَتِهِ بَيْنَ فَخِذَيْهَا – وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ زِنَاهُ بِهَا –، وَلَمْ يُعْلَمْ مَا ذَكَرَ عَنْهُ إِلَّا بِدَعْوَاهُ: أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ مَا ادَّعَاهُ، وَأَنَّهُ يُقْتَلُ بِهِ؛ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ رَأَوْا وَطْئَهُ لَهَا وَإِيلَاجَهُ فِيهَا، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُحْصَنًا مُسْلِمًا بَالِغًا، أَوْ مَنْ يَحِلُّ دَمُهُ بِذَلِكَ، فَإِنْ جَاءَ بِشُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ؛ نَجَا، وَإِلَّا قُتِلَ!!.

وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ لَوْ لَمْ يَجِيء بِهِ الْخَبَرُ لَأَوْجَبَهُ النَّظَرُ؛ لِأَنَّ اللهَ حَرَّمَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ تَحْرِيمًا مُطْلَقًا، فَمَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَتَلَ مُسْلِمًا، فَادَّعَى أَنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ كَانَ يَجِبُ قَتْلُهُ؛ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ رَفْعُهُ الْقِصَاصَ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مَا ذَكَرَ! وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ لَزِمَهُ حَقٌّ لِآدَمِيٍّ؛ لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُهُ فِي الْمَخْرَجِ مِنْهُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ اهـ.

[38] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ – وَاللَّفْظُ لَهُ –، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ؛ وَغَيْرُهُمْ.

"نَصِيحَةٌ مِنَ الْقَلْبِ لِكُلِّ أَبٍ غَيُورٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ:

قَالَ النَّبِيُّ: «[مَا مِنْ]أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ[أَنْ]يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ». وَلَا شَكَّ أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ –كُلَّهُمْ – عِبَادُ اللهِ وَإِمَاؤُهُ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي!».

فَاللهُ – تَعَالَى – يَغَارُ، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَتِهِ؛ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

وَالْغَيْرَةُ: هِيَ الْأَنَفَةُ وَالْحَمِيَّةُ وَالْغَضَبُ عَلَى الْمَحَارِمِ وَحِمَايَتُهُنَّ مِنْ أَيْدِي الْعَابِثِينَ وَأَعْيُنِ النَّاظِرِينَ.

وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَهُ؛ هُوَ الدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ الْخَنَا فِي أَهْلِهِ! وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ!!.

وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ يَكُونُ غَيُورًا عَلَى زَوْجَاتِهِ وَبَنَاتِهِ وَجَمِيعِ أَقَارِبِهِ، وَيَكُونُ مِنْ آثَارِ هَذِهِ الْغَيْرَةِ: أَنْ يُرَاقِبَهُنَّ، وَيَتَتَبَّعَ أَخْبَارَهُنَّ، وَيَمْنَعَهُنَّ عَنِ (الِاخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ)[39]، وَعَنِ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي فِيهَا وُجُودُ الِاحْتِكَاكِ وَالِازْدِحَامِ – لَا سِيَّمَا وَأَنَّ الْكَثِيرَ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ مِنْ ذَوِي النُّفُوسِ الشِّرِّيرَةِ! –؛ بِحَيْثُ يَكْثُرُ الْمُزَاحُ، وَالْمُعَاكَسَةُ، وَالْغَزَلُ، وَالْكَلَامُ السَّاقِطُ! مِمَّا يُثِيرُ الْغَرَائِزَ، وَيَدْفَعُ النُّفُوسَ الضَّعِيفَةَ الْإِيمَان إِلَى فِعْلِ الْجَرَائِمِ وَارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ!!.

فَكَمْ حَصَلَ فِي تِلْكَ الْأَسْوَاقِ مِن اخْتِطَافٍ وَمِنْ مَوَاعِيدٍ وَمُكَالَمَاتٍ وَمُخَاطَبَاتٍ خَفِيَّةٍ وَجَلِيَّةٍ! وَالْأَوْلِيَاءُ فِي غَفْلَةٍ(!) يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِمُوَلِّيَاتِهِمْ! وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ عُشْرَ مِعْشَارِ مَا حَصَلَ!!.

أَمَّا الْغَيُورُ الْحَازِمُ: فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا بِصُحْبَةِ مَحَارِمِهِ؛ يُرَاقِبُهُنَّ وَيَحْمِيهِنَّ وَيَمْنَعُهُنَّ عَنْ أَسْبَابِ الْفَسَادِ، وَعَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَفْلَامِ الْخَلِيعَةِ، وَالصُّوَرِ الْفَاتِنَةِ، وَعَنْ سَمَاعِ الْأَغَانِي الْمَاجِنَةِ الَّتِي تُثِيرُ الْغَرَائِزَ، وَتَبْعَثُ النُّفُوسَ إِلَى الْحَرَامِ!.

---

[39] **قَالَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ بِن عَبْدِ الرَّحْمَنِ آل الشَّيْخ كَمَا فِي الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ(٣٠٧/١٤):**

وَمِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَيْضًا: اخْتِلَاطُ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ فِي الْحَارَاتِ وَالْأَسْوَاقِ، فَهَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَالتَّسَاهُلُ فِيهِ وَعَدَمُ الْإِنْكَارِ لَهُ؛ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ الْغَيْرَةِ! فَإِنَّ الَّذِي لَا يَغَارُ لِحَرَمِهِ، وَلَا يَأْنَفُ مِنْ دُخُولِ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ، وَالرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ: (دَيُّوثٌ!)! وَالدَّيُّوثُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ بِنَصِّ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

كَمَا أَنَّ عَلَيْهِ صُحْبَةَ مَحارِمِهِ فِي الْأَسْوَاقِ دَائِمًا وَفِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ وَفِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدَارِسِ [حَتَّى يَدْخُلْنَ الْفُصُولَ الدِّرَاسِيَّةَ] وَكَذَا عِنْدَ خُرُوجِهِنَّ [حَتَّى يَرْكَبْنَ الْحَافِلَاتِ]...وَنَحْو ذَلِكَ حَتَّى يَأْمَنَ مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَيْهِنَّ، وَمِنْ تَسَاهُلِهِنَّ وَخُضُوعِهِنَّ بِالْقَوْلِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ ضَعِيفَةُ الشَّخْصِيَّةِ وَقَوِيَّةُ الشَّهْوَةِ! إِذَا رَأَتِ الرِّجَالَ أَوْ سَمِعَتْ بَعْضَ الْأَقْوَالِ الَّتِي تُثِيرُ الشَّهْوَةَ؛ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَضْعُفَ مُقَاوَمَتُهَا! فَلَابُدَّ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ وَالْحِرَاسَةِ التَّامَّةِ؛ لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ الَّتِي كَثُرَ فِيهَا الْفَسَادُ، وَانْتَشَرَ الزِّنَا، وَضَعُفَ الْوَازِعُ الدِّينِيُّ وَالدُّنْيَوِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ، وَوُجِدَتِ الْأَسْبَابُ وَتَيَسَّرَتِ الْوَسَائِلُ لِنَيْلِ الشَّهَوَاتِ وَإِشْبَاعِ الْغَرَائِزِ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ!! فَكَانَ لِزَامًا عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ أَنْ يَحْمِيَ مُوَلِّيَتَهُ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِعْفَافِ أَوْلَادِهِ – ذُكُورًا وَإِنَاثًا – بِمَا يَمْنَعُ نُفُوسَهُمْ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى الْحَرَامِ، أَوْ تَمَنِّي ذَلِكَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ أَوْ سَمَاعِ مَا يَدْفَعُ النَّفْسَ إِلَى اقْتِرَافِ ذَنْبٍ أَوْ فِعْلِ فَاحِشَةٍ!! مِمَّا يُسَبِّبُ سَخَطَ اللهِ – تَعَالَى – وَغَيْرَتَهُ، وَإِنْزَالَ الْعُقُوبَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِبَنِي الْإِنْسَانِ! فَإِنَّ انْتِشَارَ الزِّنَا مِنْ أَسْبَابِ كَثْرَةِ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتعصِيَةِ – كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ[٤٠] –، وَمِنْ أَسْبَابِ حِرْمَانِ النَّاسِ مِنَ الْخَيْرِ وَالسَّعَةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ[٤١].

۞۞۞۞۞

[٤٠] قُلْتُ: لَعَلَّهُ يَعْنِي قَوْلَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَفِي مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٧٩٧٨)، وَالصَّحِيحَةِ(١٠٦)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(١٧٦١)].

[٤١] نَصِيحَةٌ كَتَبَهَا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَبْرِين – سَامَحَهُ اللهُ! –!!.

وَاعْلَمْ – رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ – أَنَّ"الْغَيْرَةَ لَهَا حَدٌّ، إِذَا جَاوَزَتْهُ؛ صَارَتْ تُهْمَةً وَظَنًّا سَيِّئًا بِالْبَرِيءِ ، وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْهُ؛ كَانَتْ تَغَافُلًا وَمَبَادِيَ دِيَاثَةٍ!!".[٤٢]

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَلِكَ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ؛ فَقَالَ: «مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ اللهُ: فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ[٤٣]، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ: فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ».[٤٤]

"وَإِنَّمَا الْمَمْدُوحُ اقْتِرَانُ الْغَيْرَةِ بِالْعُذْرِ؛ فَيَغَارُ فِي مَحِلِّ الْغَيْرَةِ، وَيَعْذُرُ فِي مَوْضِعِ الْعُذْرِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا؛ فَهُوَ الْمَمْدُوحُ حَقًّا".[٤٥]

"فَالْغَيْرَةُ الْمَحْبُوبَةُ: هِيَ مَا وَافَقَتْ غَيْرَةَ اللهِ – تَعَالَى –، وَهَذِهِ الْغَيْرَةُ: هِيَ أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللهِ، وَهِيَ أَنْ تُؤْتَى الْفَوَاحِشُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ، لَكِنَّ غَيْرَةَ الْعَبْدِ الْخَاصَّةِ؛ هي مِن أَنْ يُشْرِكَهُ الْغَيْرُ فِي أَهْلِهِ...وَلِهَذَا كَانَتِ الْغَيْرَةُ الْوَاجِبَةُ عَلَيْهِ: غَيْرَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ[٤٦]، وَأَعْظَمُهُمْ: امْرَأَتُهُ، ثُمَّ أَقَارِبُهُ، وَمَنْ هُوَ تَحْتَ طَاعَتِهِ".[٤٧]

"وَمِلَاكُ الْغَيْرَةِ وَأَعْلَاهَا؛ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: غَيْرَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُهُ وَتَضِيعَ حُدُودُهُ، وَغَيْرَتُهُ عَلَى قَلْبِهِ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَنْ يَأْنَسَ بِسِوَاهُ، وَغَيْرَتُهُ عَلَى حُرْمَتِهِ أَنْ يَتَطَلَّعَ عَلَيْهَا غَيْرُهُ.

---

[٤٢] الْفَوَائِدُ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ٢٥٣.

[٤٣] الرَّيْبُ وَالرِّيبَةُ: الظَّنُّ، وَالشَّكُّ، وَالتُّهْمَةُ، وَرَابَنِي الشَّيْءُ يَرِيبُنِي: إِذَا جَعَلَكَ شَاكًّا [الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرِ، مَادَّة(ر ي ب)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّة(ريب)].
قَوْلُهُ: (**فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ**)أَيْ: فِي مَظِنَّةِ الْفَسَادِ، أَيْ: إِذَا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ الْفَسَادِ فِي مَحَلٍّ؛ فَالْقِيَامُ بِمُقْتَضَى الْغَيْرَةِ مَحْمُودٌ، وَأَمَّا إِذَا قَامَ بِدُونِ ظُهُورِ شَيْءٍ؛ فَالْقِيَامُ بِهِ مَذْمُومٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ اتِّهَامِ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّوءِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ [حَاشِيَةُ السِّنْدِيّ عَلَى ابْنِ مَاجَةَ].

[٤٤] صَحِيحٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٥٩٠٥)، وَصَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ(١٩٩٦).

[٤٥] الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ١٠٨.

[٤٦] وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ: مَنْعُهُ لَهُنَّ عَنِ التَّعَلُّقِ بِأَجْنَبِيٍّ؛ بِنَظَرٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ غَيْرِهِ [شَرْحُ السُّيُوطِيّ عَلَى مُسْلِمٍ(١٢٤/٤)].

[٤٧] الِاسْتِقَامَةِ؛ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ، صـ٢٧١.

فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ؛ دَارَتْ عَلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، وَمَا عَدَاهَا: فَإِمَّا مِنْ خِدَعِ الشَّيْطَانِ! وَإِمَّا بَلْوَى مِنْ اللهِ -كَغَيْرَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا!! -".[48]

"وَالْغَيْرَةُ: تُصَفِّي القَلْبَ، وَتُخْرِجُ خَبَثَهُ كَمَا يُخْرِجُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ".[49]

"فَأَقْوَى النَّاسِ دِينًا؛ أَعْظَمُهُمْ غَيْرَةً"[50]، "وَأَشْرَفُ النَّاسِ وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً؛ أَشَدُّهُمْ غَيْرَةً عَلَى نَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ"[51]، "وَمَنْ لَا يَغَارُ؛ فَهُوَ دَيُّوثٌ!!".[52]

وَبَعْدُ: فَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ"يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ: الْغَيْرَةُ، وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَهُ: لَا دِينَ لَهُ!!.

فَالْغَيْرَةُ: تَحْمِي الْقَلْبَ فَتَحْمِي لَهُ الْجَوَارِحَ، فَتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ.

وَعَدَمُ الْغَيْرَةِ: تُمِيتُ الْقَلْبَ، فَتَمُوتُ لَهُ الْجَوَارِحُ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهَا دَفْعٌ أَلْبَتَّةَ!.

وَمَثَلُ الْغَيْرَةِ فِي الْقَلْبِ؛ مَثَلُ الْقُوَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْقُوَّةُ؛ وَجَدَ الدَّاءُ الْمَحِلَّ قَابِلًا، وَلَمْ يَجِدْ دَافِعًا، فَتَمَكَّنَ، فَكَانَ الْهَلَاكُ!!".[53]

۞۞۞۞۞

---

[48] رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ.

[49] رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ٢٥٣.

[50] رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ٢٣٦.

[51] الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ١٠٦-١٠٧.

[52] الِاسْتِقَامَةِ؛ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ، صـ٢٧١.

[53] الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ؛ لِابْنِ الْقَيِّمِ، صـ١٠٩-١١٠.

التَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِين: "إِنَّنَا فِي عَصْرٍ عَظُمَ فِيهِ الْخَطَرُ! وَكَثُرَتْ أَسْبَابُ الْفِتْنَةِ بِمَا فُتِحَ عَلَيْنَا مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَاتِّصَالِنَا بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ – مُبَاشَرَةً أَوْ بِوَاسِطَةِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ –، وَبِسَبَبِ ضَعْفِ كَثِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ تَهَاوُنِهِمْ بِالْقِيَامِ بِمَسْؤُولِيَّتِهِمْ تُجَاهَ نِسَائِهِمْ؛ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ فِي شَرَكِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَهَاوِيَةِ ذَلِكَ الْخَطَرِ!! حَتَّى أَنَّكَ لَتَرَى الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا إِلَى السُّوقِ بِأَلْبِسَةٍ مُغْرِيَةٍ! أَلْبِسَةٍ جَمِيلَةٍ: إِمَّا قَصِيرَة، وَإِمَّا طَوِيلَة ضَيِّقَة! لَيْسَ فَوْقَهَا إِلَّا عَبَاءَةٌ قَصِيرَةٌ أَوْ طَوِيلَةٌ، يَفْتَحُهَا الْهَوَاءُ أَحْيَانًا، وَتَرْفَعُهَا هِيَ – نَفْسُهَا – عَمْدًا أَحْيَانًا(!).

تَخْرُجُ بِخِمَارٍ تَسْتُرُ بِهِ وَجْهَهَا؛ لَكِنَّهُ أَحْيَانًا يَكُونُ رَقِيقًا يَصِفُ لَوْنَ جِلْدِ وَجْهِهَا! وَأَحْيَانًا تَشُدُّهُ عَلَى وَجْهِهَا شَدًّا قَوِيًّا؛ بَحَيْثُ تَبْرُزُ مُرْتَفِعَاتُ وَجْهِهَا –كَأَنْفِهَا وَوَجْنَتِهَا –.

تَخْرُجُ لَابِسَةً مِنْ حُلِيِّ الذَّهَبِ – مَا لَبِسَتْ –؛ ثُمَّ تَكْشِفُ عَنْ ذِرَاعَيْهَا حَتَّى يَبْدُوَ الْحُلِيُّ! كَأَنَّمَا تَقُولُ لِلنَّاسِ: شَاهِدُوا مَا عَلَيَّ!! فِتْنَةٌ كُبْرَى! وَمِحْنَةٌ عُظْمَى!!.

تَخْرُجُ مُتَطَيِّبَةً بِطِيبٍ قَوِيِّ الرَّائِحَةِ، يَفْتِنُ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنَ الرِّجَالِ! وَرُبَّمَا خَلَعَ ثِيَابَ الْحَيَاءِ فَصَارَ يُلَاحِقُهَا!!.

تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا تَمْشِي فِي السُّوقِ مَشْيًا قَوِيًّا كَمَا يَمْشِي أَقْوَى الرِّجَالِ وَأَشَبُّهِمْ! كَأَنَّمَا تُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ قُوَّتَهَا وَنَشَاطَهَا!.

وَتَمْشِي كَذَلِكَ فِي السُّوقِ مَعَ صَاحِبَتِهَا: تُمَازِحُهَا وَتُضَاحِكُهَا بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ!! وَتُدَافِعُهَا بَتَدَافُعٍ مَنْظُورٍ!!.

وَتَقِفُ عَلَى صَاحِبِ الدُّكَّانِ تُبَايِعُهُ، وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ يَدَيْهَا وَعَنْ ذِرَاعَيْهَا! وَرُبَّمَا تُمَازِحُهُ! أَوْ يُمَازِحُهَا! أَوْ يَضْحَكُ مَعَهَا!! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النِّسَاءِ، مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ! وَالسُّلُوكِ الشَّاذِّ الْخَارِجِ عَنْ تَوْجِيهَاتِ الْإِسْلَامِ وَطَرِيقِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ!!.

يَقُولُ اللهُ – تَعَالَى – لِنِسَاءِ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُنَّ الْقُدْوَةُ –: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ؛ وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ».[٥٤] هَكَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ». خَيْرٌ لَهُنَّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ! فَكَيْفَ بِخُرُوجِهِنَّ لِلْأَسْوَاقِ؟!.

وَيَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾[النور: ٦٠] فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْعَجَائِزِ مَمْنُوعَةً مِنَ التَّبَرُّجِ بِالزِّينَةِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الشَّابَّةُ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الْفِتْنَةِ؟!.

وَيَقُولُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[النور: ٣١] فَإِذَا كَانَتْ مَأْمُورَةً بِأَنْ تَضْرِبَ بِالْخِمَارِ – وَهُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ رَأْسَهَا عَلَى جَيْبِهَا؛ لِيَسْتُرَ مَا قَدْ يَبْدُو مِنْ رَقَبَتِهَا، أَوْ يَرْبُو عَلَى صَدْرِهَا –، فَكَيْفَ تُخَالِفُ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ – الْمُؤْمِنَةُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ – إِلَى مُحَاوَلَةِ إِبْدَاءِ وَجْهِهَا وَهُوَ مَحَلُّ الْفِتْنَةِ وَالتَّعَلُّقِ بِهَا؟!.

وَيَقُولُ اللهُ – سُبْحَانَهُ –: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾[النور: ٣١].

وَهُوَ الْخُلْخَالُ الَّذِي تُلْبِسُهُ بِرِجْلِهَا وَتُخْفِيهِ بِثَوْبِهَا، فَإِذَا ضَرَبَتْ بِرِجْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ؛ سُمِعَ صَوْتُهُ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَنْهِيَّةً أَنْ تَفْعَلَ مَا يُعْلَمُ بِهِ زِينَةُ الرِّجْلِ الْمُخْفَاةِ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكْشِفُ عَنْ ذِرَاعِهَا حَتَّى تُشَاهَدَ زِينَةُ الْيَدِ؟! إِنَّ فِتْنَةَ الْمُشَاهَدَةِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ السَّمَاعِ!.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ».[٥٥] وَيَعْنِي بِهِمُ الظَّلَمَةَ مِنْ ذَوِي السُّلْطَةِ الَّذِينَ يَضْرِبُونَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَمَّا مَنْ يَضْرِبُونَ النَّاسَ بِحَقٍّ – لِتَقْوِيمِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ –؛ فَلَيْسُوا مِنْ هَؤُلَاءِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ كَرَاهَةَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ السِّيَاطِ!.

---

[٥٤] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ، دُونَ قَوْلِهِ: (وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ)، فَإِنَّهُ فِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ(٥٦٧)، وَالْإِرْوَاءِ(٥١٥)، وَصَحِيحِ الْجَامِعِ(٧٤٥٨).

[٥٥] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ؛ وَغَيْرُهُمْ.

أَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي، فَيَقُولُ فِيهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ؛ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».[٥٦]

وَصَفَهُنَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَنَّهُنَّ(كَاسِيَاتٌ)أَيْ: عَلَيْهِنَّ كُسْوَةٌ، وَلَكِنَّهُنَّ (عَارِيَاتٌ)؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْكُسْوَةَ لَا تَسْتُرُ: إِمَّا لِخِفَّتِهَا، أَوْ ضِيقِهَا، أَوْ قِصَرِهَا!.

(مَائِلَاتٌ) عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ (مُمِيلَاتٌ) لِغَيْرِهِنَّ بِمَا يَحْصُلُ مِنْهُنَّ مِنَ الْفِتْنَةِ! (رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ)؛ بِمَا يَلْفُفْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ شُعُورِهِنَّ، أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى يَكُونَ كَسَنَامِ الْبَعِيرِ الْمَائِلِ!!.

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، أَنَّهُ قَالَ: « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا؛ فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ[٥٧]»[٥٨]، فَمَنَعَهَا مِنْ حُضُورِ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهَا أَصَابَتْ بَخُورًا! فَكَيْفَ بِمَنْ تَتَطَيَّبُ بِمَا هُوَ أَطْيَبُ مِنَ الْبَخُورِ، وَأَشَدُّ جَاذِبِيَّةً، ثُمَّ تَخْرُجُ إِلَى الْأَسْوَاقِ؟!!.

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ: آخِرُهَا، وَشَرُّهَا: أَوَّلُهَا».[٥٩] لِمَاذَا كَانَ ذَلِكَ؟ كَانَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ آخِرَ الصُّفُوفِ أَبْعَدُ عَنِ الرِّجَالِ وَالِاخْتِلَاطِ بِهِمْ. هَذَا؛ وَهُوَ فِي الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ! فَكَيْفَ بِمَنْ تَلِي الرِّجَالَ، وَتَخْتَلِطُ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ؟!!...

إِنَّ مُشْكِلَةَ النِّسَاءِ لَيْسَتْ بِالْمُشْكِلَةِ الْهَيِّنَةِ! وَلَيْسَتْ بِالْمُشْكِلَةِ الْجَدِيدَةِ؛ لِأَنَّهُنَّ الْفَاسِقِ مِنْهُنَّ: شَرَكُ الشَّيَاطِينِ، وَحَبَائِلُ الشَّرِّ، تَصِيدُ بِهِنَّ كُلَّ خَفِيفِ الدِّينِ مَسْلُوبِ الْمُرُوءَةِ!!.

قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ!».[٦٠]

---

[٥٦] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[٥٧] وَيَلْحَقُ بِالطِّيبِ مَا فِي مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّ سَبَبَ الْمَنْعِ مِنْهُ مَا فِيهِ مِنْ تَحْرِيكِ دَاعِيَةِ الشَّهْوَةِ؛ كَحُسْنِ الْمَلْبَسِ، وَالْحُلِيِّ الَّذِي يَظْهَرُ، وَالزِّينَةِ الْفَاخِرَةِ، وَكَذَا الِاخْتِلَاطُ بِالرِّجَالِ [فَتْحُ الْبَارِي؛ لِابْنِ حَجَرٍ(٤٢٥/٢)].

[٥٨] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[٥٩] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[٦٠] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى؛ وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ؛ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ!». أَيْ: زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ).[61]

وَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ!!».[62]

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَاحْذَرُوا هَذِهِ الْفِتْنَةَ الَّتِي حَذَّرَكُمْ مِنْهَا نَبِيُّكُمْ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –! اقْضُوا عَلَى أَسْبَابِ الشَّرِّ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْكُمْ! وَسُدُّوا أَبْوَابَ الْفَسَادِ قَبْلَ أَنْ تَنْهَارَ عَلَيْكُمْ!!.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ فِي هَذَا الْعَصْرِ قَدْ لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِهِنَّ وَبِأَفْكَارِهِنَّ وَتَصَرُّفَاتِهِنَّ!! تَخْرُجُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ...مُتَزَيِّنَةً مُتَطَيِّبَةً مُتَحَلِّيَةً؛ وَقَدْ قَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ؛ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا» يَعْنِي: زَانِيَةً!!.[63]

وَتَخْرُجُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ، فَتَمْشِي فِي السُّوقِ مِشْيَةَ الرَّجُلِ، وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا كَمَا يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ، وَتُزَاحِمُ كَمَا يُزَاحِمُ الرَّجُلُ، وَتَخْتَلِطُ مَعَ الرِّجَالِ بِدُونِ مُبَالَاةٍ! هَذَا مَوْجُودٌ فِي بَعْضِ النِّسَاءِ؛ وَلَا سِيَّمَا فِي أَمَاكِنِ الْبَيْعِ! وَكُلُّ هَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ، وَضَرَرٌ جَسِيمٌ!! وَمُخَالِفٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ!.

خَرَجَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنَ الْمَسْجِدِ، وَقَدِ اخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ[64]، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ». فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْصَقُ بِالْجِدَارِ؛ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ!!.[65]

---

[61] انظُرْ: الْإِرْوَاءَ(٢٧٣) وَصَحِيحَ الْجَامِعِ(٦٦٩٠)، وَالصَّحِيحَةَ(٢٦٨٨)، وَصَحِيحَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٣٤٦).

[62] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى، وَابْنُ مَاجَةَ؛ وَغَيْرُهُمْ.

[63] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٩٢٩)، وَصَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ(٥٢٧٢)، وَانْظُرِ الصَّحِيحَةَ(٨٥٦).

[64] (**لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ**)أَيْ: تَذْهَبْنَ فِي حَاقِّ الطَّرِيقِ، وَالْحَاقُّ – بِتَشْدِيدِ الْقَافِ –: الْوَسَطُ [شَرْحُ الْمِشْكَاةِ؛ لِلْقَارِي].

[65] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الكبير، والبيهقي في الشعب؛ وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ(٤٥٤٠)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(٢٠١٩)، وَغَايَةِ الْمَرَامِ(١٩٩)، وَالْمِشْكَاةِ(١٠٦٥).

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الأَكْسِيَةِ.[٦٦]

...أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ تَرْكَ الْحَبْلِ عَلَى الْغَارِبِ لِلنِّسَاءِ، وَإِطْلَاقَ سَرَاحِهِنَّ يَخْرُجْنَ مَتَى شِئْنَ ، وَعَلَى أَيَّةِ كَيْفِيَّةٍ أَرَدْنَ، بِدُونِ مُبَالَاةٍ، وَلَا حَيَاءٍ مِنَ اللهِ! وَلَا مُرَاقَبَةٍ لَهُ؛ إِنَّهُ لَمِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَسُقُوطِ الْمُرُوءَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ لِلْبِلَادِ وَحُلُولِ الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ!!

قَالَ اللهُ – تَعَالَى –: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾...

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ مُشْكِلَةَ النِّسَاءِ عِنْدَنَا هَذَا الزَّمَن: فِي التَّبَرُّجِ، وَالِاخْتِلَاطِ، وَالتَّسَكُّعِ فِي الْأَسْوَاقِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ!.

فَالتَّبَرُّجُ: أَنْ تَسْتَشْرِفَ الْمَرْأَةُ لِلرِّجَالِ؛ بِاللِّبَاسِ، وَالزِّينَةِ، وَالْقَوْلِ، وَالْمِشْيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تُظْهِرُ بِهِ نَفْسَهَا لِلرِّجَالِ، وَتُوجِبُ لَفْتَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَلَقَدْ قَالَ اللهُ – تَعَالَى –: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَلَقَدْ تَوَسَّعَ النِّسَاءُ فِي التَّبَرُّجِ بِاللِّبَاسِ؛ فَصَارَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ لِلسُّوقِ مِنْ أَحْسَنِ اللِّبَاسِ! وَتَضَعُ عَلَيْهِ عَبَاءَةً، رُبَّمَا تَكُونُ قَصِيرَةً لَا تَسْتُرُهَا، أَوْ رَهِيفَةً، أَوْ تَرْفَعُهَا الْمَرْأَةُ عَنْ أَسْفَلِ جِسْمِهَا، حَتَّى يَبِينَ جَمَالُ ثِيَابِهَا وَزِينَتُهَا! وَرُبَّمَا شَدَّتِ الْعَبَاءَةَ بِيَدَيْهَا مِنْ فَوْقِ عَجِيزَتِهَا؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَجْمُهَا(!!!) وَكُلُّ هَذَا مِمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ!...

أَيُّهَا النَّاسُ!! لَقَدْ أَصْبَحَتْ مُشْكِلَةُ النِّسَاءِ مُشْكِلَةً خَطِيرَةً لَا يَنْبَغِي تَجَاهُلُهَا، أَوِ السُّكُوتُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا إِنْ بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ؛ فَسَيَكُونُ لَهَا عَاقِبَةٌ وَخِيمَةٌ عَلَى الْبَلَدِ وَأَهْلِهَا أَوْ سُمْعَتِهَا!!.

---

[٦٦] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ؛ وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ(٤١٠١).

قَالَ فِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ: شَبَّهَتِ الْخُمُرُ فِي سَوَادِهَا بِالْغُرَابِ.

أَفَلَا يَعْقِلُ الْمَسْؤُولُونَ عَنْ أَهْلِيهِمْ وَعَنْ بِلَادِهِمْ أَنَّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْؤُولِيَّةَ أَهْلِهِ؟!.

أَفَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْصَحَ امْرَأَتَهُ وَابْنَتَهُ وَأُخْتَهُ وَذَاتَ قَرَابَتِهِ كَمَا فَعَلَ رِجَالُ الْأَنْصَارِ حِينَ أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ؟!.

ثُمَّ أَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَيُلْزِمُهَا إِذَا خَرَجَتْ أَنْ لَا تَخْرُجَ مُتَبَرِّجَةً أَوْ مُتَطَيِّبَةً؟!.

ثُمَّ أَلَا يُمْكِنُ مَنْ لَهُ بَنَاتٌ أَوْ أَخَوَاتٌ أَوْ أَقَارِب يَدْرُسْنَ، أَنْ يَحُثَّهُنَّ عَلَى بَثِّ الْوَعْيِ بَيْنَ الطَّالِبَاتِ، وَتَحْذِيرِهِنَّ مِنَ التَّجَوُّلِ فِي الْأَسْوَاقِ وَخُرُوجِهِنَّ بِالزِّينَةِ؟!.

إِنَّهُ كُلَّهُ مُمْكِنٌ وَيَسِيرٌ؛ إِذَا صَدَقَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ، وَخَلَصَتْ نِيَّتُهُ، وَقَوِيَتْ عَزِيمَتُهُ!...

فَإِذَا حَرَصْنَا عَلَى مَنْعِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ؛ مِنْ كَثْرَةِ النِّسَاءِ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَبَرُّجِهِنَّ، وَحَرَصْنَا عَلَى مُقَاوَمَةِ مَنْ يُلَاحِقُهُنَّ، وَإِجْرَاءِ اللَّازِمِ مِنْ تَأْدِيبِهِمْ، وَقُمْنَا فِي ذَلِكَ للهِ وَبِاللهِ مَثْنَى وَفُرَادَى؛ فَسَوْفَ نَلْقَى الْعَوْنَ مِنَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَالْخَيْرَ الْكَثِيرَ اهـ.[٦٧]

❁❁❁❁❁

[٦٧] الضِّيَاءُ اللَّامِعُ مِنَ الْخُطَبِ الْجَوَامِعِ؛ لِابْنِ عُثَيْمِينَ، الْقِسْمُ الثَّانِي صـ٤٠٢–٤١٠ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مَعَ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ.

فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ يَا ابْنَ عُثَيْمِينَ مَا أَفْقَهَكَ لِلْوَاقِعِ! فَأَيْنَ أَنْتُمْ يَا دُعَاةَ الْحِزْبِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الدُّرَرِ؟! أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ هَذِهِ الدُّرَرِ يَا مَنْ تَدَّعُونَ (فِقْهَ الْوَاقِعِ)؟! أَيُقَالُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَا يَفْقَهُونَ الْوَاقِعَ؟!! وَلَكِنْ؛ ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾.

قَالَ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى أَبْصَارُهُمْ أَنْ يُبْصِرُوا بِهَا الْأَشْخَاصَ وَيَرَوْهَا، بَلْ يُبْصِرُونَ ذَلِكَ بِأَبْصَارِهِمْ؛ وَلَكِنْ تَعْمَى قُلُوبُهُمُ الَّتِي فِي صُدُورِهِمْ عَنْ إِبْصَارِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ!! اهـ.

وَتَتْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ؛ أَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ فِتْنَةِ النِّسَاءِ – أَيْضًا –: إِهْمَالَ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ، وَهَضْمَهُ حَقَّهَا – أَعْنِي: حَقَّ الْجِمَاعِ! – الْوَاجِب عَلَيْهِ: إِمَّا ظُلْمًا وَعِنَادًا مِنْهُ لَهَا، أَوْ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْطِيَهَا حَقَّهَا؛ بِسَبَبِ مَرَضٍ أَلَمَّ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْيَانِ النِّسَاءِ أَوْ لَا يَشْتَهِي النِّسَاءَ!! أَوْ أَنَّهُ صَحِيحٌ مُعَافَىً؛ وَلَكِنَّهُ يُعَانِي مِنْ (أَشْيَاءَ) عِنْدَ الْجِمَاعِ[٦٨]، فَلَا تَشْعُرُ الزَّوْجَةُ بِلَذَّةٍ أَصْلًا؛ بَلْ تَزْدَادُ نَارُهَا تَأَجُّجًا!!.

وَاعْلَمْ – رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ – أَنَّ صِيَانَةَ الْمَرْأَةِ وَإِعْفَافَهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الرِّجَالِ؛ أَمْرٌ وَاجِبٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ.

فَلَا يَجْمُلُ بِكَ – وَأَنْتَ الرَّجُلُ – أَنْ تُفَرِّطَ وَتُهْمِلَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ كَهَذَا!!.[٦٩]

وَأَنْتِ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ الصَّابِرَةُ: حَافِظِي عَلَى دِينِكِ، وَعَلَى كَرَامَتِكِ، وَعَلَى عِفَّتِكِ!.

اصْبِرِي!! فَإِنَّكِ إِنْ صَبَرْتِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَلَى مَا فِي قَلْبِكِ مِنْ (أَلَمِ الشَّهْوَةِ) كَمَا يَصْبِرُ الْمُصَابُ عَلَى أَلَمِ الْمُصِيبَةِ؛ فَإِنَّكِ حِينَئِذٍ تَكُونِينَ مِمَّنِ اتَّقَى اللهَ وَصَبَرَ، وَاللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – لَا يُضِيعُ أَجْرَ الصَّابِرِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[٧٠]﴾ [يوسف: ٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

٦٨ كَالْقَذْفِ السَّرِيعِ – مَثَلًا –، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الْمَرَضِ؛ فَيَجِبُ عَلَيْهِ (الْمُسَارَعَةُ) لِعِلَاجِ نَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ إِعْفَافِ زَوْجَتِهِ!.

٦٩ أَلَمْ تُخْبَرْ – يَا عَبْدَ اللهِ – بِأَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَوْصَانَا بِالنِّسَاءِ؛ فَقَالَ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» [صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ؛ وَغَيْرُهُمَا]. وَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**خَيْرُكُمْ: خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ؛ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» [حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالدَّارِمِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ؛ وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ فِي الصَّحِيحَةِ(٢٨٥)، وَصَحِيحِ الْجَامِعِ(٣٣١٤)، وَصَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ(١٩٢٤)].

وَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**وَإِنَّ لِزَوْجَتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» [صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ – وَاللَّفْظُ لَهُمَا –].

فَلَمَّا تَرَكَ (بَعْضُ الرِّجَالِ) الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَأَهْمَلُوا حُقُوقَ الزَّوْجَاتِ – وَخُصُوصًا حَقَّ الْجِمَاعِ !–؛ حَدَثَتِ الْفِتَنُ!! فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَمْ تَتَزَوَّجْ – فَقَطْ – لِتَأْكُلَ وَتَشْرَبَ وَتَلْبَسَ! وَإِنَّمَا تَزَوَّجَتْ مِنْ أَجْلِ إِحْصَانِ فَرْجِهَا عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ! فَحِينَمَا يُهْمِلُ الزَّوْجُ هَذَا الْحَقَّ الْعَظِيمَ: (حَقَّ الْجِمَاعِ)، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ أَعَانَ الشَّيْطَانَ عَلَى زَوْجَتِهِ – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ –؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ! فَلْيُتَنَبَّهْ لِذَلِكَ!!.

٧٠ **قَالَ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:** يَقُولُ: إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ فَيُرَاقِبْهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَيَصْبِرْ، يَقُولُ: وَيَكُفُّ نَفْسَهُ، فَيَحْبِسُهَا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللهِ؛ ﴿**فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ يَقُولُ: فَإِنَّ اللهَ لَا يُبْطِلُ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ وَجَزَاءَ طَاعَتِهِ إِيَّاهُ فِيمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ اهـ.

فَصْلٌ مُهِمٌّ فِي (الْجِمَاعِ=الْوَطْءِ) وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ:

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي: وَالْوَطْءُ وَاجِبٌ عَلَى الرَّجُلِ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عُذْرٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ.[٧١]

أَدِلَّةُ وُجُوبِ الْوَطْءِ عَلَى الزَّوْجِ:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ "فَجَعَلَ مِنْ حَقِّهَا عَلَيْهِ تَرْكُ إِظْهَارِ الْمَيْلِ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَقَدْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مِنْ حَقِّهَا الْقَسْمُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ نِسَائِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَرْكَ إِظْهَارِ الْمَيْلِ إِلَى غَيْرِهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ عَلَيْهِ وَطْأَهَا؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ﴾يَعْنِي: لَا فَارِغَةً فَتَتَزَوَّجُ، وَلَا ذَاتَ زَوْجٍ؛ إِذْ لَمْ يُوَفِّهَا حَقَّهَا مِنْ الْوَطْءِ!".[٧٢]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾يَعْنِي: وَلَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ مِثْلُ الَّذِي لِأَزْوَاجِهِنَّ عَلَيْهِنَّ!.[٧٣]

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ثُمَّ عَلَيْهِ – أَيْ: عَلَى الزَّوْجِ – أَنْ يَتَوَخَّى أَوْقَاتَ حَاجَتِهَا إِلَى الرَّجُلِ، فَيُعِفَّهَا وَيُغْنِيَهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِهِ. وَإِنْ رَأَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ عَجْزًا عَنْ إِقَامَةِ حَقِّهَا فِي مَضْجَعِهَا؛ أَخَذَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَزِيدُ فِي بَاهِهِ[٧٤] وَتُقَوِّي شَهْوَتَهُ حَتَّى يُعِفَّهَا اهـ.[٧٥]

---

[٧١] الْمُغْنِي(٩/٧١٥).

[٧٢] أَحْكَامُ الْقُرْآنِ؛ لِلْجَصَّاصِ(٩/٧١٥).

[٧٣] وَهَذِهِ الْمُمَاثَلَةُ لَيْسَتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ! فَلَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ إِذَا وَجَبَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُقِمَّ بَيْتَ زَوْجِهَا، وَأَنْ تُجَهِّزَ طَعَامَهُ؛ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ! كَمَا لَا يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْفَاقُ عَلَى امْرَأَتِهِ؛ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْإِنْفَاقُ عَلَى زَوْجِهَا!! بَلْ كَمَا تُقِمُّ بَيْتَهُ، وَتُجَهِّزُ طَعَامَهُ؛ يَجِبُ عَلَيْهِ هُوَ أَنْ يَحْرُسَ الْبَيْتَ، وَأَنْ يُحضِرَ لَهَا الْمِعْجَنَةَ وَالْغِرْبَالَ! وَكَمَا تَحْضُنُ وَلَدَهُ؛ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْفِيَهَا مُؤْنَةَ الِارْتِزَاقِ – كَيْ لَا تُهْمِلَ وَلَدَهُ –، وَأَنْ يَتَعَهَّدَهُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَأْدِيبِهِ [التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ؛ لِابْنِ عَاشُورٍ، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ].

قَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ: قَوْلُهُ: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾أَيْ: لَهُنَّ مِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ عَلَى الرِّجَالِ بِمِثْلِ مَا لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ؛ فَيُحْسِنُ عِشْرَتَهَا بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ لِنِسَائِهِمْ، وَهِيَ كَذَلِكَ، تُحْسِنُ عِشْرَةَ زَوْجِهَا بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ عَادَةِ النِّسَاءِ أَنَّهُنَّ يَفْعَلْنَهُ لِأَزْوَاجِهِنَّ؛ مِنْ طَاعَةٍ، وَتَزَيُّنٍ، وَتَحَبُّبٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ اهـ.

[٧٤] الْبَاهُ: الْجِمَاعُ، فَمَعْنَى (تَزِيدُ فِي بَاهِهِ)أَي: تَزِيدُ فِي رَغْبَتِهِ لِلْجِمَاعِ.

[٧٥] تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ(٣/٨٢-٨٣).

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «يَا عَبْدَ اللهِ! أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ! صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».[٧٦]

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي (الْمُفْهِمِ) عِنْدَ شَرْحِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ: وَأَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ: فَهُوَ فِي الْوَطْءِ، وَذَلِكَ إِذَا سَرَدَ الصَّوْمَ، وَوَالَى الْقِيَامَ بِاللَّيْلِ؛ مَنَعَهَا بِذَلِكَ حَقَّهَا مِنْهُ! اهـ.

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي: وَمِنْ جُمْلَةِ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا: أَنْ يُجَامِعَهَا! اهـ.

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمُحَلَّى: وَفَرْضٌ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُجَامِعَ امْرَأَتَهُ الَّتِي هِيَ زَوْجَتُهُ اهـ.

وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي(٧١٦/٩): النِّكَاحُ شُرِعَ لِمَصْلَحَةِ الزَّوْجَيْنِ، وَدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُمَا، وَهُوَ مُفْضٍ إِلَى دَفْعِ ضَرَرِ الشَّهْوَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ كَإِفْضَائِهِ إِلَى دَفْعِ ذَلِكَ عَنْ الرَّجُلِ، فَيَجِبُ تَعْلِيلُهُ بِذَلِكَ! وَيَكُونُ النِّكَاحُ حَقًّا لَهُمَا جَمِيعًا؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا فِيهِ حَقٌّ؛ لَمَا وَجَبَ اسْتِئْذَانُهَا فِي الْعَزْلِ – كَالْأَمَةِ –! اهـ.

قُلْتُ: بَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ أَنَّ الْوَطْءَ حَقٌّ لِلْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا؛ فَفِي أَيَّةِ مُدَّةٍ يَثْبُتُ هَذَا الْحَقُّ لَهَا؟

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ(!!) وَقَالَ آخَرُونَ: يَجِبُ فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مَرَّةً، وَقِيلَ: يَجِبُ فِي كُلِّ طُهْرٍ مَرَّةً! وَقِيلَ: يَجِبُ فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً!!.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ – قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ – فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى:

يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَطَأَ زَوْجَتَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ مِنْ أَوْكَدِ حَقِّهَا عَلَيْهِ؛ أَعْظَمُ مِنْ إِطْعَامِهَا!!.

وَالْوَطْءُ الْوَاجِبُ: قِيلَ: إِنَّهُ وَاجِبٌ فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مُرَّةً، وَقِيلَ: بِقَدْرِ حَاجَتِهَا وَقُدْرَتِهِ؛ كَمَا يُطْعِمُهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهَا وَقُدْرَتِهِ؛ وَهَذَا أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ. وَاللهُ أَعْلَمُ اهـ.

وَقَالَ – قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ – فِي الْفَتَاوَى الْكُبْرَى: وَيَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ وَطْءُ امْرَأَتِهِ بِقَدْرِ كِفَايَتِهَا؛ مَا لَمْ يُنْهِكْ بَدَنَهُ أَوْ تَشْغَلْهُ عَنْ مَعِيشَتِهِ، غَيْرَ مُقَدَّرٍ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ – كَالْأَمَةِ –، فَإِنْ تَنَازَعَا؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَفْرِضَهُ الْحَاكِمُ كَالنَّفَقَةِ، وَكَوَطْئِهِ إِذَا زَادَ اهـ.

[٧٦] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ؛ وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الثَّانِي ابْنُ الْقَيِّمِ – قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ –:
وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ: هَلْ يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ مُجَامَعَةِ امْرَأَتِهِ؟
فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ(!!) فَإِنَّهُ حَقٌّ لَهُ؛ فَإِنْ شَاءَ اسْتَوْفَاهُ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ! بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتَأْجَرَ دَارًا: إِنْ شَاءَ سَكَنَهَا، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا!!.
وَهَذَا مِنْ أَضْعَفِ الْأَقْوَالِ! وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَالْعُرْفُ وَالْقِيَاسُ يَرُدُّهُ!.
أَمَّا الْقُرْآنُ: فَإِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، قَالَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ الْجِمَاعُ حَقًّا لِلزَّوْجِ عَلَيْهَا؛ فَهُوَ حَقٌّ عَلَى الزَّوْجِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ!.
وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَمَرَ الْأَزْوَاجَ أَنْ يُعَاشِرُوا الزَّوْجَاتِ بِالْمَعْرُوفِ، وَمِنْ ضِدِّ الْمَعْرُوفِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ شَابَّةٌ شَهْوَتُهَا تَعْدِلُ شَهْوَةَ الرَّجُلِ أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ وَلَا يُذِيقُهَا لَذَّةَ الْوَطْءِ مَرَّةً وَاحِدَةً(!) وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْمَعْرُوفِ؛ كَفَاهُ طَبْعُهُ رَدًّا عَلَيْهِ!!.
وَاللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِنَّمَا أَبَاحَ لِلْأَزْوَاجِ إِمْسَاكُ نِسَائِهِمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَا عَلَى غَيْرِهِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَجِبُ عَلَيْهِ وَطْؤُهَا فِي الْعُمُرِ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ لِيَسْتَقِرَّ لَهَا بِذَلِكَ الصَّدَاقُ!!.
وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ: فَإِنَّ الْمَقْصُودَ إِنَّمَا هُوَ الْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالصَّدَاقُ دَخَلَ فِي الْعَقْدِ تَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ، وَفَرْقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السِّفَاحِ، فَوُجُوبُ الْمَقْصُودِ بِالنِّكَاحِ؛ أَقْوَى مِنْ وُجُوبِ الصَّدَاقِ!.
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ: يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَهَا فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً! وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ: بِأَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَبَاحَ لِلْمُولِي تَرَبُّصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَخَيَّرَ الْمَرْأَةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَتْ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ وَإِنْ شَاءَتْ أَنْ تُفَارِقَهُ، فَلَوْ كَانَ لَهَا حَقٌّ فِي الْوَطْءِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ لَمْ يَجْعَلْ

لِلزَّوْجِ تَرْكَهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ![77] وَهَذَا الْقَوْلُ وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنَ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ؛ فَلَيْسَ أَيْضًا بِصَحِيحٍ! فَإِنَّهُ غَيْرُ الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَهَا وَعَلَيْهَا!!.

وَأَمَّا جَعْلُ مُدَّةِ الْإِيلَاءِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ؛ فَنَظَرًا مِنْهُ – سُبْحَانَهُ – لِلْأَزْوَاجِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِ وَطْءِ امْرَأَتِهِ مُدَّةً لِعَارِضٍ – مِنْ سَفَرٍ أَوْ تَأْدِيبٍ أَوْ رَاحَةِ نَفْسٍ أَوِ اشْتِغَالٍ بِمُهِمٍّ –، فَجَعَلَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَهُ أَجَلًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْوَطْءُ مُؤَقَّتًا فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً!!.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَهَا بِالْمَعْرُوفِ؛ كَمَا يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَيَكْسُوهَا وَيُعَاشِرُهَا بِالْمَعْرُوفِ؛ بَلْ هَذَا عُمْدَةُ الْمُعَاشَرَةِ وَمَقْصُودُهَا!!.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَنْ يُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ، فَالْوَطْءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْمُعَاشَرَةِ – وَلَا بُدَّ –!.

قَالُوا: وَعَلَيْهِ أَنْ يُشْبِعَهَا وَطْئًا – إِذَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ – كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يُشْبِعَهَا قُوتًا! وَكَانَ شَيْخُنَا [يَعْنِي: ابْنَ تَيْمِيَّةَ] – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – يُرَجِّحُ هَذَا الْقَوْلَ وَيَخْتَارُهُ!.

وَقَدْ حَضَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى اسْتِعْمَالِ هَذَا الدَّوَاءِ[يَعْنِي: الْجِمَاعَ] وَرَغَّبَ فِيهِ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الْأَجْرَ، وَجَعَلَهُ صَدَقَةً لِفَاعِلِهِ؛ فَقَالَ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».[78]

---

[77] وَلَكِنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ عَلِيلٌ؛ لِأَنَّ الْإِيلَاءَ حَالٌ طَارِئَةٌ، وَالرَّجُلُ أَقْسَمَ أَنْ لَا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ، فَمَا دَامَ الرَّجُلُ حَلَفَ؛ نَقُولُ: نَظَرًا لِحَالِكَ وَيَمِينِكِ وَقَسَمِكَ نُؤَجِّلُكَ هَذِهِ الْمُدَّةَ: إِنْ جَامَعْتَ وَرَجَعْتَ إِلَى زَوْجَتِكَ؛ فَذَاكَ، وَإِنْ لَمْ تُجَامِعْ؛ فُسِخَ النِّكَاحُ!. وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَطْرَأْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْحَالُ، وَلَمْ يُوجَدْ سَبَبٌ لِتَأْجِيلِهِ؛ فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ اللهُ – تَعَالَى –: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْرُوفِ – أَبَدًا – أَنَّ الْإِنْسَانَ الشَّابَّ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ ثُمَّ يَطَؤُهَا فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً فَقَطْ!!.

فَالصَّوَابُ: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَطَأَهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّابَّةِ وَالْعَجُوزِ، فَتُوطَأُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِمَا يُشْبِعُ رَغْبَتَهَا! [الشَّرْحُ الْمُمْتِعِ؛ لِابْنِ عُثَيْمِينَ(١٢/٤١١)].

[78] حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ؛ وَغَيْرُهُمَا. قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**) : فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُبَاحَاتِ تَصِيرُ طَاعَاتٍ بِالنِّيَّاتِ الصَّادِقَاتِ، **فَالْجِمَاعُ يَكُونُ عِبَادَةً إِذَا نَوَى بِهِ قَضَاءَ حَقِّ الزَّوْجَةِ وَمُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ – تَعَالَى – بِهِ** اهـ.

وَمِنْ تَرَاجِمِ النَّسَائِيِّ عَلَى هَذَا: (التَّرْغِيبُ فِي الْمُبَاضَعَةِ)؛ ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ!.

فَفِي هَذَا[يَعْنِي: الْجِمَاعَ]: كَمَالُ اللَّذَةِ! وَكَمَالُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْحَبِيبَةِ[٧٩]، وَحُصُولُ الْأَجْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقَةِ، وَفَرَحُ النَّفْسِ! وَذَهَابُ أَفْكَارِهَا الرَّدِيئَةِ عَنْهَا، وَخِفَّةُ الرُّوحِ، وَذَهَابُ كَثَافَتِهَا وَغِلْظِهَا، وَخِفَّةُ الْجِسْمِ، وَاعْتِدَالُ الْمِزَاجِ، وَجَلْبُ الصِّحَةِ، وَدَفْعُ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ!.

فَإِنْ صَادَفَ ذَلِكَ: وَجْهًا حَسَنًا، وَخُلُقًا دَمِثًا[٨٠]، وَعِشْقًا وَافِرًا، وَرَغْبَةً تَامَّةً، وَاحْتِسَابًا لِلثَّوَابِ؛ فَذَلِكَ اللَّذَّةُ الَّتِي لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ!! اهـ.[٨١]

۞۞۞۞۞

[٧٩] **فَائِدَةٌ:** سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: يُؤْجَرُ الرَّجُلُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ وَلَيْسَ لَهُ شَهْوَةٌ؟ فَقَالَ: إِي وَاللهِ! يَحْتَسِبُ الْوَلَدَ، وَإِنْ لَمْ يُرْدِ الْوَلَدَ؛ يَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، لِمَ لَا يُؤْجَرُ؟! [الْمُغْنِي(٩/٧١٨)].

[٨٠] الدَّمَاثَةُ: سُهُولَةُ الْخُلُقِ، يُقَالُ: مَا أَدْمَثَ فُلَانًا وَأَلْيَنَهُ، وَالدَّمِثُ مِنَ الرِّجَالِ: السَّهْلُ اللَّيِّنُ [غَرِيبُ الْحَدِيثِ؛ لِابْنِ قُتَيْبَةَ(١/٢١٣)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ(٤/٤٠٠)، مَادَّة: دمث].

[٨١] رَوْضَةُ الْمُحِبِّينَ، صـ١٨٩-١٩٠.

الْخَاتِمَةُ

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي أَحْوَالِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يَعْلَمُ – عِلْمَ الْيَقِينِ – أَنَّ سَبَبَ هَذِهِ الْفِتَنِ، وَالْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا – إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ –؛ نَاتِجٌ عَنِ الْبُعْدِ عَنْ دِينِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ –؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فِي جَهْلٍ مُطْبِقٍ[٨٢] بِالْإِسْلَامِ: فَلَا يَعْرِفُونَ عَنْهُ إِلَّا اسْمُهُ! وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ!! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مَا أَصَابَنَا وَحَلَّ بِنَا!!.

كَيْفَ النَّجَاةُ وَالْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟

اعْلَمْ – رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ – أَنَّهُ لَا نَجَاةَ وَلَا مَخْرَجَ مِمَّا حَلَّ بِنَا؛ إِلَّا بِـ"الرُّجُوعِ إِلَى الدِّينِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَتَحْكِيمِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّحِيحَةِ، وَفَهْمِهِمَا على فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُمَا الْعِصْمَةُ مِنْ كُلِّ ضَلَالٍ، وَالنَّجَاةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا؛ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[٨٣].

هذا؛ وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ مَنْ قَرَأَهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهَا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ[٨٤] مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَكَتَبَ: أَحْمَدُ بْنُ طَلِيلٍ أَبُو الْفِينَةِ – أَبُو حَمْزَةَ –
– عَفَا اللَّهُ عَنْهُ –

---

[٨٢] الْجَهْلُ الْمُطْبِقُ: هُوَ اعْتِقَادُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ حَقِيقَتِهِ!.

[٨٣] الْجَمَاعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ لِسَلِيمِ الْهِلَالِيِّ، صـ٥٨٥.

[٨٤] ثُمَّ رَاجَعْتُهَا، وَنَقَّحْتُهَا، وَزِدْتُ عَلَيْهَا زِيَادَاتٍ – أَحْسَبُهَا نَفِيسَةً! –، فِي مَجَالِسَ مُتَعَدِّدَةٍ؛ آخِرُهَا: ضُحَى يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

مسرد المصادر والمراجع

١- القرآن العظيم.

٢- أحكام القرآن، الجصاص، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣- آداب الزفاف، الألباني، طبعة ١٤٢٣هـ.

٤- إغاثة اللهفان، ابن القيم، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، تخريج: الألباني، تحقيق: علي الحلبي!!.

٥- الاستقامة، ابن تيمية، دار الحديث – مصر، طبعة ١٤٢٦هـ، تحقيق: أحمد جاد.

٦- التحرير والتنوير، ابن عاشور.

٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر.

٨- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري.

٩- جلباب المرأة المسلمة، الألباني، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٣هـ.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

١١- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، سليم الهلالي، الدار الأثرية – الأردن، طبعة ١٤٢٥هـ.

١٢- حاشية السندي على ابن ماجة، نور الدين السندي.

١٣- حشد الأدلة، يحيى الحجوري، دار الآثار – اليمن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٤- الداء والدواء، ابن القيم، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ، تحقيق: علي الحلبي!!.

١٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، أئمة الدعوة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

١٦- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، السيوطي، دار ابن عفان - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، تحقيق: الحويني(!).

١٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، دار ابن رجب - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، خرج أحاديثه: سعد بن كامل.

١٨- الروضة الندية، صديق حسن خان، دار العقيدة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: حلمي بن إسماعيل الرشيدي.

١٩- السلسلة الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، طبعة ١٤١٥هـ.

٢٠- شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الغد الجديد - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، تحقيق: صلاح الدين محمود.

٢١- الشرح الممتع، ابن عثيمين، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٢- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣- صحيح الجامع، الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٢٤- صحيح سنن ابن ماجة، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الأولى.

٢٥- صحيح سنن أبي داود، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الثانية للطبعة الجديدة ١٤٢١هـ.

٢٦- صحيح سنن الترمذي، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الثانية للطبعة الجديدة ١٤٢٤هـ.

٢٧- صحيح سنن النسائي، الألباني، مكتبة المعارف - السعودية، الطبعة الأولى.

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الصفا - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، اعتنى به: محمد بن عيادي عبد الحليم.

٢٩- الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ابن عثيمين، دار المنهاج - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٣٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، دار الحديث - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، تحقيق: سيد عمران.
٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني.
٣٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي.
٣٣- غريب الحديث، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٤- فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.
٣٥- فتح الباري، ابن حجر، دار الحديث - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٦- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا.
٣٧- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الفكر - لبنان.
٣٨- الفوائد، ابن القيم، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٥هـ، تحقيق: علي الحلبي!!.
٣٩- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٤٠- المحلى بالآثار، ابن حزم.
٤١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الجيل - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
٤٢- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، دار الثريا - السعودية، الطبعة الثانية.
٤٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري.
٤٤- مسند أحمد، دار المعارف - مصر، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر.
٤٥- المصباح المنير، الفيومي، دار الحديث - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٤٦- المغني، ابن قدامة، دار الحديث – مصر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٤٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي.
٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، خرج أحاديثه، وعلق عليه: صلاح بن عويضة.